الصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ وردود الأفعال التي يثيرها في الذهن كثيرة، سواء من حيث توقيت الاعلان، أو انعكاساته الاستراتيجية، أو الاسئلة التي يطلق لها العنان. ولسنا معنيّين، في هذا الموضع، بمناقشة هذه الجوانب كافة، التي تستحق جهداً فكرياً مركّزاً يفيها حقها؛ غير ان الامر يثير الشهيّة لاثارة بعض الاسئلة، التي من بينها: لماذا اختارت القيادة العراقية الاعلان عن امتلاكها لأحد أهمّ أسلحة الدمار الشامل (فوق التقليدية وتحت النووية) في هذا التوقيت على وجه التحديد؟ هل كان ذلك لمجرّد الردّ على التهديدات الاسرائيلية للمنشآت العراقية، أم ان للتصريح علاقة بتطوّر الاوضاع الدولية، وتطوّر الغزو السكاني اليهودي لفلسطين، وكثرة الاشارات الاسرائيلية الى امكانية تنفيذ استراتيجية تهجير ابناء الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة نحو الاردن أو حتى ابتلاع الاردن ذاته، ومن ثمّ مجاورة العراق مباشرة؟ وبصيغة أخرى، هل أرادت بغداد ان تبلغ الى المهاجرين الجدد ان الصهيونية قد تقودهم الى محرقة، وليس الى جنّة موعودة، أو فردوس مفقود؟ ومن حيث التوقيت والجوانب الفنية أيضاً، قد يقال ان اسرائيل تستطيع ان تحبط أية ضربة عراقية محتملة بواسطة المبادرة بالهجوم في البداية، مع استطاعة رديفة من جانبها لاحباط أي ضربة عراقية اليها، استناداً الى شبكة من الصواريخ المضادة للصواريخ التي طوّرتها اسرائيل في اطار مشاركتها في برنامج «حرب النجوم» مع الولايات المتحدة الاميركية. فهل أخذت بغداد هذا الاحتمال في الاعتبار، بحيث ان اعلانها عن موقفها التسلّحي جاء بعد دراسة مستوفاة لهذه الجوانب؟ ثمّ، هل يتوقف الموقف التسلّحي العراقي عند نقطة معيّنة؟ أليس من المحتمل ان ما أعلن عنه العراق ليس الّا جزءاً من كل أشمل، وأكثر قوة؟

واضح، والحال كذلك، ان الاسئلة المتعلقة بالجوانب الفنية والتقنية كثيرة، يستطيع ان يتصدّى لها أهل الاختصاص. وهناك اسئلة أخرى تتعلّق بجوانب استراتيجية تخصّ صميم مسار الصراع العربي ـ الاسرائيلي، لعلّ في مقدمها السؤال عمّا اذا كان هذا الصراع قد أخذ، في أعقاب التصريح العراقي، احد أهمّ خصائص الصراع في مستواه الدولي ابّان الحرب الباردة؟ بكلمات أخرى، هل توصّل الجانب العربي الى نقطة التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل، بحيث أصبحنا تجاه «حالة اقليمية» من «الردع المتبادل» بين العرب واسرائيل؟ لا يخفى ان الاجابة عن هذه الاسئلة سوف تتوقف عليها أبنية جديدة من التحليلات في المراحل المقبلة. وقد بدأت ارهاصات أولية لهذه التحليلات في البروز. فمن رأي البعض، ان الجانب العربي قد توصّل، بالفعل، الى وضعية التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل، وذلك الى المستوى الذي قد تنتفي فيه امكانية الحرب النظامية بين الطرفين؛ أو ان مثل هذه الحرب، اذا وقعت، لن تكون كأحدى الجولات المعتادة، بل سوف تكون لها أبعاد تدميرية هائلة، الامر الذي يتحسّب الطرفان له، ويسعيان الى تجنّبه[٢٧]. ان مثل هذا التحليل يفيد بأننا لسنا فقط تجاه أوضاع دولية مستجدة، ينبغي ان تؤخذ في الحسبان، بل اننا بصدد تطوّرات هامّة، على صعيد طبيعة المواجهة وموازين القوى في حدود التوازن بين طرفي الصراع أيضاً.

نعود الى الواقع الدولي، لنلفت الانتباه الى ان التوجهات الدولية المقبلة توحي بأن منطقة الشرق الاوسط، في عمومها، لن تكون منطقة مواجهة عسكرية، أو تنافس عسكري، بين موسكو وواشنطن، بل سوف تكون، على الارجح، منطقة تنافس اقتصادي بين أطراف متعددة (اليابان واوروبا والصين الى جانب القوتين العظميين)، وبذلك فان السياسة الاميركية لن تكون معنيّة كثيراً بدعم اسرائيل عسكرياً لأجل مواجهة النفوذ الشيوعي. ومعلوم ان اسرائيل تمثّل، في ظل تحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الاميركية، مخزن اسلحة للقوات الاميركية. ومعنى ذلك، ان هذه الاسلحة